

وتكونها • فالامة لا تتكون بالاضطهاد والقهر الذي تمارسه الطبقة القائدة • وفشل تجربة الوحدة المصرية السورية يقدم درساً على العجز عن تحقيق الوحدة ، اي تحقيق الدولة الامة • « الذي ينقل الشعب من حالسة التشتت والتفتت الى الوحدة القومية ، ليس الطبقة القائدة الموحدة • انه الحلف الشعبي الطبقي بين كل الفئات التي كانت تسمى العامة ، وهي الاغلبية المنتجة المضطهدة النهضة ، اثبتت عجزها عن تكوين الوحدة القومية • بسل زادت في التفتت بقيادة البرجوازية دائماً ، كانت بالاساس ثورة شعبية » •

ان الفشل الساحق في الوصول الى الدولة - الامة العربية لا يكشف فقط . ضراوة المواجهة التي قادتها الامبريالية الغربية ضد الشعب العربي ، بل يكشف اساساً ، طبيعة التكوين الاجتماعي والسياسي والايديولوجي للنخبة التي قادت التحديث العقلي والسياسي والديني ، بالتحالف مع الغرب • فالبرجوازية الطفيلية الريعية ، بمختلف فئاتها ، قادت الامة الى الهزيمة الشاملة • وما تاريخها البائس ، الا التعبير المباشر والملموس عن عجزها واستبداديتها • فباسم رفض السيطرة العثمانية ، قادت الامة في حرب خاسرة ضد نفسها • اي قادت عبر اصلاحها واصلاحيتها ، الى تهيمش الجماهير ، عبر بناء دولة « حديثة » اكثر استبدادية • وقادت بالتالي الى عودة الاشكال القديمة للتضامن الاجتماعي الى البروز ، او الى استحداث اشكال تأخذ بعداً جديداً ( الطائفية السياسية ) ، كقاعدة لنمو التفتت ، بالتحالف مع الغرب • هكذا يصبح تاريخ الحركة القومية هو تاريخ تكون النخبة العربية الحديثة • ولا يمكن فهم هذا التكون ، بمعزل عن عاملين اساسيين : التكون في التجارة والغزو الاقتصادي والفكري والسياسي • والتكون داخل اجهزة الدولة • وفي التكوينين كان الانهيار العثماني الشامل ، هو بداية التحول التدريجي والبطيء من تراجيدية الافغاني ، الى اصلاحية محمد عبده ، الى تنصيب الشريف حسين زعيماً « للثورة العربية الكبرى » •

لكن الى جانب هذا التاريخ الرسمي هناك تاريخ اخر ، تاريخ المقاومة العنيدة في انتفاضات متلاحقة . قامت بها جماهير الفلاحين ضد السيطرة الغربية ، التي كانت تعني اخراجها الرسمي من الواقع التاريخي • هذا التاريخ ، الذي لم يكتب . هو الاخر تاريخ هزائم متتالية • لكنه يشكل مجموعة من اللحظات المضيئة ، التي تقدم مؤشراً على قدرة الجماهير على المقاومة الطويلة النفس •

ان فشل الاصلاح في تحقيق اهدافه المعلنة ، يكشف الاهداف غير المعلنة التي نجح في تحقيقها • فيكشف عجز الانماط الثلاثة التي رفع الاصلاح لواءها • فالاصلاح الديني اوصل الى ادخال الرأسمالية الطفيلية وتبريرها • ان النقد